

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة سبح اسم ربك الأعلى مكية

سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ①

إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ⑦

تسبيح اسمه عز وعلًا تنزيهه عما لا يصح فيه من المعاني التي هي إلحاد في أسمائه كالجبر والتشبيه. ونحو ذلك مثل أن يفسر الأعلى بمعنى العلو الذي هو القهر والاعتدال لا بمعنى العلو في المكان والاستواء على العرش حقيقة، وإن يصاب عن الابتدال والنكر لا على وجه الخشوع والتعظيم. ويجوز أن يكون الأعلى صفة للرب والاسم. وقرأ علي رضي الله عنه: سبحان ربي الأعلى. وفي الحديث: لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله ﷺ: «اجعلوها في ركوعكم». فلما نزل سبح اسم ربك الأعلى قال: «اجعلوها في سجودكم»⁽¹⁾. وكانوا يقولون في الركوع: اللهم لك ركعت، وفي السجود اللهم لك سجدت.

الَّذِي عَلَّمَ صَوْتًا ②

«خلق فسوياً» أي: خلق كل شيء فسوياً خلقه تسوية ولم يأت به متفاوتاً غير ملتئم، ولكن على إحكام واتساق ودلالة على أنه صادر عن عالم وأنه صنعة حكيم.

وَالَّذِي أُنزِلَ الْأَنْزَامَ ③

«قدر فهدى» قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه إليه وعرفه وجه الانتفاع به. يحكى أن الأفعى إذا أتت عليها ألف سنة عميت، وقد ألهمها الله أن مسح العين بورق الرازيانج الغض يرد إليها بصرها. فريماً كانت في بركة بينها وبين الريف مسيرة أيام فتطوي تلك المسافة على طولها وعلى عماها حتى تهجم في بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطئها فتحك بها عينها وترجع باصرة بلأن الله. وهدايات الله للإنسان إلى ما لا يحذر من مصالحه وما لا يحصر من حوائجه في أغنيته وأبوته وفي أبواب بنيائه ودينه. وإلهامات البهائم والطيور وهوام الأرض باب واسع وشروط بطين لا يحيط به وصف وأصف فسبحان ربي الأعلى. وقرئ: قدر بالتخفيف. أحوى صفة لغناء أي.

«أخرج المرعى»، أنبته.

نَمَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ④ سَتَرْتُكَ فَلَا تَنسَى ⑤

«فجعله» بعد خضرته ورفيفه «غثاءً أحوى» دريناً

مَذَكَّرَ إِنْ نَسِيَ الْذِكْرَ ⑥

«ونيسرك ليسرى» معطوف على سنقرتك وقوله: «إنه يعلم الجهر وما يخفى» اعتراض، ومعناه: نوفك للطريقة التي هي أيسر وأسهل، يعني: حفظ الوحي. وقيل: للشريعة السمحة التي هي أيسر الشرائع وأسهلها ماخذاً. وقيل: نوفك لعمل الجنة.

فَإِنْ قُلْتَ: كان الرسول ﷺ مأموراً بالذكرى نفعت أو لم تنفع فما معنى اشتراط النفع؟ قُلْتَ: هو على وجهين: أحدهما أن رسول الله ﷺ قد استفرغ مجهوده في تذكيرهم وما كانوا يزيبون على زيادة الذكرى إلا عتواً وطفياناً، وكان النبي ﷺ يتلظى حسرة وتلهفاً ويزداد جداً في تذكيرهم وحرصاً عليه. فقيل له: وما أنت عليهم بجبار فنكر بالقرآن من يخاف وعيد وأعرض عنهم وقل سلام.

= أحمد في المسند 4/155.

(2) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، والطبري والبحاري في الأدب المفرد، زيلعي 194/4.

(1) أخرجه ابن حبان في كتاب: الصلاة، باب: صفة الصلاة، (الحديث: 189) وأخرجه أبو داود في كتاب: الصلاة، باب: ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، (الحديث رقم: 869) وأخرجه ابن ماجه في الإقامة، باب: التسبيح في الركوع، (الحديث رقم: 887) وأخرجه =

وعن ابن عباس رضي الله عنه: نكر معاده وموقفه بين يدي ربه فصلى له. وعن الضحاك: ونكر اسم ربه في طريق المصلى فصلى صلاة العيد.

بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٧﴾

﴿بل تؤثرون الحياة الدنيا﴾ فلا تفعلون ما تفعلون به. وقرئ: تؤثرون على الغيبة. ويعضد الأولى قراءة ابن مسعود: بل أنتم تؤثرون.

وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْوَىٰ ﴿١٨﴾

﴿خير وأبوى﴾ أفضل في نفسها وأنعم وأبوم. وعن عمر رضي الله عنه: ما الدنيا في الآخرة إلا كنفجة أرنب.

إِنَّ هَذَا لَبِئْسَ الْأَوَّلُ ﴿١٩﴾

﴿هذا﴾ إشارة إلى قوله: ﴿قد افلح﴾ إلى ﴿بقي﴾، يعني: أن معنى هذا الكلام وارد في تلك الصحف وقيل: إلى ما في السورة كلها. وروي عن أبي زر رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ: كم أنزل الله من كتاب؟ فقال: مائة وأربعة كتب: منها على آدم عشر صحف، وعلى شيث خمسون صحيفة، وعلى أخنوخ وهو إدريس ثلاثون صحيفة، وعلى إبراهيم عشر صحائف، والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان⁽²⁾. وقيل: إن في صحف إبراهيم ينبغي للعامل أن يكون حافظاً للسانه عارفاً بزمانه مقبلاً على شأنه، عن رسول الله ﷺ: ومن قرأ سورة الأعلى أعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف⁽³⁾.

صُفِّ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿٢٠﴾

أنزله الله تعالى على إبراهيم وموسى ومحمد، وكان إذا قرأها قال: سبحان ربي الأعلى⁽⁴⁾، وكان علي وابن عباس يقولان نك وكان يحبها⁽⁵⁾، وقال: أول من قال سبحان ربي الأعلى ميكائيل⁽⁶⁾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الغاشية مكية

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١﴾

﴿الغاشية﴾ الداهية التي تغشى الناس بشدائدها وتلبسهم أهوالها. يعني: القيامة. من قوله: يوم يغشاهم الصلبي إلخ. قوله تعالى: ﴿قد افلح من تزكى﴾ ونكر اسم ربه

ونكر إن نعتت النكرة وذلك بعد إلزام الحجة بتكرير التنكير، والثاني أن يكون ظاهره شرطاً ومعناه نمًا للمتكبرين وإخباراً عن حالهم واستبعاداً لتأثير النكرة فيهم وتسجيلاً عليهم بالطبع على قلوبهم كما تقول للواعظ: عظم المكاسين إن سمعوا منك. قاصداً بهذا الشرط استبعاد ذلك وأنه لن يكون.

سَيَذَرُكَ مَنْ غَضِبَ ﴿٢١﴾

﴿سيذرك﴾ فيقبل التنكرة وينتفع بها ﴿من يخشى﴾ الله وسوء العاقبة فينظر حتى يقوده ويفكر النظر إلى اتباع الحق. فأما هؤلاء فغير خاشعين ولا ناظرين فلا تأمل أن يقبلوا منك.

وَيَجَنَّبُكَ الْأَسْخَىٰ ﴿٢٢﴾

﴿ويتجنبها﴾ ويتجنب النكرة ويتحاماها ﴿الأسقى﴾ الكافر لأنه أشقى من الفاسق، أو الذي هو أشقى من الكفرة لتوغله في عداوة رسول الله ﷺ. وقيل: نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة.

الَّذِي يَمَسُّ الْأَتْرَابَ ﴿٢٣﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ بِنَاءٍ وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٢٤﴾

﴿النار الكبرى﴾ السفلى من أطباق النار⁽¹⁾. وقيل: الكبرى نار جهنم، والصغرى نار الدنيا. وقيل: ثم لأن التراجع بين الحياة والموت أفلح من الصلبي فهو متراح عنه في مراتب الشدة. والمعنى: لا يموت فيستريح ولا يحيى حياة تنفعه.

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ ﴿٢٥﴾

﴿تزكى﴾ تطهر من الشرك والمعاصي، أو تطهر للصلاة، أو تكثر من التقوى، من الزكاة وهو النماء، أو تفعل من الزكاة كتصدق من الصدقة.

وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿٢٦﴾

﴿فصلى﴾ أي: الصلوات الخمس. نحو قوله: وأقام الصلاة وأتى الزكاة. وعند ابن مسعود: رحم الله امرئ تصلى وصلّى. وعن علي رضي الله عنه أنه التصلى بصدقة الفطر. وقال: لا أبالي أن لا أجد في كتابي غيرها لقوله: ﴿قد افلح من تزكى﴾ أي: أعطى زكاة الفطر فتوجه إلى المصلى فصلى صلاة العيد وذكر اسم ربه فكبر تكبيرة الافتتاح. وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى أنها ليست من الصلاة لأن الصلاة معطوفة عليها وعلى أن الافتتاح جائز بكل اسم من أسمائه عز وجل.

(4) أخرجه أبو داود في كتاب: الصلاة، باب: الدعاء في الصلاة، (الحديث رقم: 883). وأخرجه الحاكم في المستدرک 1/ 263.

(5) نكره الواحدي في تفسيره، والثعلبي في تفسيره، زيلعي 4/ 197 - 198.

(6) نكره الواحدي في تفسيره، والثعلبي في تفسيره، زيلعي 4/ 197.

(1) قال أحمد: يشير إلى خلود الفاسق مع الكافر في أسافل النار، والفاسق أعلى منه كما تقدم له التصريح بذلك كثيراً.

(2) أخرجه ابن حبان في كتاب: البر والإحسان، باب: ما جاء في الطاعات وثوابها، (الحديث رقم: 361).

(3) نكره ابن مردويه، ونكره الثعلبي والواحدي في تفاسيرهم، زيلعي 4/ 197.